



+ آباؤنا القديسون

الشهيدان مرقس وكيرلس ورفقتهما

من يقرأ تاريخ الكنيسة يعي أن الكنيسة قامت على أجساد الشهداء، وبعزمهم استمرت شاهدة في العالم للرب يسوع المسيح، ابن الله الوحيد. القديسون الشهداء قرقس العرطوزي وكيرلس البعلبكي وراهبات كنيسة بعلبك وخدامها ومؤمنو مدينتي عسقلان وغزة الفلسطينيين المستشهدون علم ٣٦٣، والذين نُقيم تذكّارهم في التاسع والعشرين من آذار، هم الدليل الساطع على أن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة، وأن الشيطان قد يهلك الأجساد لكن النفوس تعصى عليه وتلازم المسيح.

استشهد جميع هؤلاء على عهد الإمبراطور يوليان (٣٦١-٣٦٣) الملقب بالجاحد. فبعدهما كان قارئاً في الكنيسة عاد إلى وثنية أجداده وراح يضطهد المسيحيين رغم أن من وفر له الحماية من القتل عندما كان مسيحياً هو الأسقف مرقس، أسقف أريتوزا (عرطوز) شمال مدينة طرابلس.

فور تسلمه زمام الحكم عام ٣٦١ أطلق يوليان حملة منظمة ضد المسيحيين، وأطلق يد الوثنيين لاضطهادهم كذلك أمر بهدم الكنائس وبناء المعابد الوثنية على نفقة المسيحيين.

أول من عانى من شر يوليان كان الأسقف مرقس العرطوزي. فقد كان مرقس قد هدم هيكلًا للوثنيين وبني مكانه كنيسة. لذلك حقد عليه الوثنيون ووجدوا عهد يوليان مناسبة للإنتقام. أحس مرقس بالخطر فاحتبأ بانتظار ما سيحدث. إلا أن الوثنيين أمسكوا عدداً من المؤمنين ورفضوا إطلاقهم إلا إذا أسلم مرقس نفسه، ففعلوا. قبضوا عليه وجروه من شعره في الشوارع ثم جرّوه من ثيابه وجلدوه بوحشية وألقوه في حفرة للنفايات والمياه المبتدلة، ثم سلطوا عليه الفتيان الصغار لينخسوه بالآلات الحادة. بعد ذلك ربطوه بالأسلاك حتى تمزق لحمه ثم أخذوا يركلونه كالطابخة، ثم دهنوا جسده بالعسل ووضعوه في قفص علّقوه في الشمس المحرقة، لكي تلسعه الدبابير والنحل وتعذبه.

في كل هذه العذابات لبث مرقس هادئاً ومصلياً، حتى ان مضطهديه أشفقوا على شيخوخته، وطلبوا منه أن يعطيهم المال لينبوا الهيكل الوثني فيتركونه. إلا انه رفض أن يعطي قرشاً واحداً «لبناء هيكل لإله أصم». أخيراً لما عاين هؤلاء عظم صبره وصلابة موقفه، انقلب موقفهم إعجاباً به، وتوسّلوه أن يعلمهم ما يعرفه. ويُقال أنه عاد إلى رعيته ليسوسها إلى حين وفاته بسلام عام ٣٦٤.

من بين الشهداء كان أيضاً القديس كيرلس شماس كنيسة بعلبك، الذي كان قد اشترك سابقاً بتهدم هيكل فينوس (الزهرة) في المدينة، لأنه كان مكاناً لممارسة الزنى والعهر والنجاسات، وساهم في إقامة كنيسة مسيحية مكانه. استغل الوثنيون فرصة وجود يوليان الجاحد في الحكم لينتقموا من كيرلس، فألقوا القبض عليه وأذاقوه أمر العذابات. ضربوه وجروه ثم فتحوا جوفه وسحبوا كبده



+ آباؤنا القديسون

وأكلوه نيئاً. لكن عقاب الله عليهم كان أشد، إذ تفتتت أسنانهم وأكل الدود ألسنتهم، ومنهم من فقد بصره.

لم يكتفِ وثنيو بعلبك بقتل كيرلس الشماس بل هجموا على دير للراهبات هناك وأخذوهن إلى هيكل فينوس وارتكبوا الحماقات والفحشاء ضدهن بقصد تحقيرهن. أما هن فاحتسبن هذا كلاً شيء أمام محبة المسيح. أخيراً قطع الجلادون رؤوسهن ثم انتزعت أحشاءهن ووضع مكانها الشعير والتبن ورميت الجثث طعاماً للخنازير.

هذا ما حدث أيضاً في مدينتي عسقلان وغزة الفلسطينيتين، حيث أمسك الوثنيون خدام الكنيسة هناك وبعض النسوة المكرّمات وأخضعوهم لشقى أنواع التعذيب، من ضرب بالعصي وجلّد وتمزيق اللحم وسكب الماء المغلي على الجراح والنخز بالمسالات الحديدية. وبعد أن أضحت أجسامهم مقرّحة بسبب الجراحات سحبوهم في الشوارع إلى خارج المدينة ورموهم حيث تُطرح جيف الحيوانات الميتة، ثم أحرقوهم بنيران متقدة فنالوا إكليل المجد. وقد احتفظت إحدى النساء ببقايا عظام هؤلاء القديسين إلى أن وُضعت هذه الذخائر في كنيسة خارج أبواب مدينة غزة على عهد الملك ثاودوسيوس.

من بين الفظائع التي ارتكبتها أتباع يوليان أنهم فتحوا صندوق بقايا القديس يوحنا المعمدان الموجودة في سبسطيا وألقوا العظام في النار ثم ذروا الرماد في كل اتجاه. عقاب الله لم يكن بعيداً، فقد قضى يوليان الجاحد صريعاً بعد سنتين من حكمه (+363)، كان ألعبوبة في يدي الشيطان الذي يحاول دائماً أن يدمر الكنيسة. الكنيسة كانت وستبقى إلى الأبد لمجد الله الآب وابنه الوحيد ومهما حاول الأشرار أن يفعلوا فلن يستطيعوا نقضها لا من الداخل ولا من الخارج طالما هناك قديسون مثل مرقس وكيرلس ورفقتهما. فبشفاعتها اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.